المصدر: الحياه
التاريخ : ١٩يـو ليـو ٢٠٠٥

الخنق بحبلين

حازم صاغيّة

ذاك ان النظام «القومي» في سورية غير معنيّ بالشعب، كل الشعب، في «القطر اللبناني الشقيق». وهو لا يستوقفه بتاتاً تسعير المشاعر العدائية، بل العنصرية أحياناً، داخل ما تفترضه اللفظية البعثية «شعباً واحداً في دولتين».

والخنق الأخوي هذا طريقة ونهج لهما سوابق تعود الى نيسان (ابريل) 1969 ثم ايار (مايو) 1973 وهكذا دواليك. فكلما أحسّ حكام سورية العسكريون بأن السياسة اللبنانية لا تطابق سياستهم ولا تنسج على منوالها اعتمدوا خنق الشعب اللبناني برمته.

ولئن نمّ سلوك كهذا عن بؤس الدعاوة القومية وبؤس الأخوّة، فإن ايكال الاقتصاد السوري وقراره الى الأمن والاجهزة يعمّم الضحك الأسود. ذاك أن الأذية اللاحقة باللبنانيين (50 ألف فرصة عمل و300 ألف دولار يومياً) تبقى، على المدى البعيد، أقل من الأذية اللاحقة بسورية والسوريين. هكذا، يبدو، والحال هذه، ان الحرية الاقتصادية التي تعلن دمشق رغبتها في اعتناقها أقرب الى خرافة. كذلك يبدو سعي سورية المعلن للانضمام الى منظمة التجارة الدولية أشبه بالسعي الآخر المعلن لتحرير الجولان. وهي أزمة مقيمة في «الدولة» السورية قبل ان يحكمها العسكر بدليل الأزمة الجمركية في أوائل الخمسينات التي دلّت الى الحجم الضخم للدولتي داخل الديموقراطي، فكيف وقد انقضت عقود على موت الديموقراطي وتضخم الدولتي؟

وهي، على العموم، علاقة بلبنان مفادها ان نظاماً يخنق وبلداً يُخنق، لا تحول دون ذلك اتفاقات التعاون والتنسيق الموقّعة، ولا ارتباط دمشق باتفاق تحرير التجارة العربية الذي يفترض تسهيل انتقال البضائع بين البلدان العربية تمهيداً لتسهيل التبادل في الخدمات. وهو ما يندرج في طريقة سورية لم يسبق ان عرفها جوار، أخوياً كان أم غير أخوي. تنسحب الطريقة هذه على رفض اقامة تمثيل ديبلوماسي، وعلى ممارسة الخنق الاقتصادي، وعلى تمرير السلاح والمقاتلين، وعلى تشجيع «المقاومة» لتحرير أرض حُررت من دون ان يقال للعالم أن الارض التي لم تُحرر لبنانية. وهذه الاستثناءات غير المألوفة في الأعراف والعلاقات، والتي اعتُمدت تمكيناً للوصاية، يعرف واضعوها مصاعب لبنان فيفركون جرحها بملح كثير. فهو لا يستطيع حل مشكلته عبر البحر لأن اقامة بنية تحتية للتجارة البحرية يرتّب أكلافاً واعباءً لا يقوى عليها اقتصاد مَدين كالاقتصاد اللبناني. فاذا حاول عدد من الصيادين البسطاء ان يغنموا لقمتهم بمبادرة بسيطة وحرَفية وقعوا في الأسر

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

السوري. ويعرف النظام في دمشق ان المنفذ الاسرائيلي محرّم، يزيد في تحريمه ان حلفاء سورية اللبنانيين جعلوا مقاومة الدولة العبرية قدراً لا رجعة عنه، بغض النظر عن وجود أرض محتلة أو عدم وجودها، وبغض النظر عما اذا كان سائر العرب سيصالحون أم لم يكونوا. وقدر كهذا ينبغي ألا يزحزحه، أو يدفع الى التشكيك به، جوع اللبنانيين. فاذا ما ظهر واحد منهم يطالب بتأمين اللقمة، ولو عبر اسرائيل، عُدّ خائناً وعميلاً.

وعلى النحو هذا يلتفّ حول العنق اللبناني حبلان: وهم القومية العربية الأخوية الذي لا يحول دون الكفاءة الرفيعة في استخدامها لتعزيز قدرة الشقيق الاكبر على خنق الشقيق الاصغر، وضعف الوطنية اللبنانية التي تردع عن التوصل الى أي اجماع، ولو كان إجماعاً على طلب القوت. ذاك ان كثيرين من حاملي الحبل الثاني تصلهم أسباب حياتهم من خارج دورة الاقتصاد اللبناني أصلاً. فلماذا هذا العناء كله؟

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية